شرج كتاب التوحيد الذي هوحق الله على العبيد

الشيخ علي سلطان الجلابنة الفصل الثاني للعام ١٤٣٦





بِسْمِ اللَّهِ الْرَّحْمَنِ الْرَّحَيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الْحُمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا الكريم وعلى آله وصحبه والتابعين أما بعد؛

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

(المتن)

قال المؤلف الشيخ/محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله - المجدد في كتابه الماتع كتاب التوحيد: باب ما جاء في باب قول الله تعالى: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص: ٥٦] (١) الآية.

وفي الصحيح عن ابن المسيب وابن المسيب كما ذكر النووي -رحمه الله- في شرحه على مسلم فيه قولين عند أهل العلم معمول بهما لتشديد الياء مع فتحها أو مع كسرها، والأقرب أنه بالفتح وأن لم يرضه صاحب الاسم وهو سعيد -رحمه الله -.

قال: عن أبيه، وأبوه هو المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي-رحمه الله رضى عنه-.

عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بما عند الله» فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فأعادا.

انظروا كما أن هناك دعاة إلى التوحيد ودعاة إلى الحرث فإن ثمة دعاة إلى الشرك وإلى الكفر وإلى الباطل والعياذ بالله. وكما أنك تصرف وقتك وجهدك ومالك لأجل دعوة الله عنده رؤساء الحق ورؤساء عنده رؤساء الحق ورؤساء

⁽۱) القصص : ٥٦ .



الباطل، ورؤساء الحق هو محمد ، ورؤساء الباطل كأبي جهل -عليه من الله ما يستحق وهذا يدعوه إلى الله على الكفر، وهذا يدعوه إلى الرجوع إلى الله على الكفر، وهذا يدعوه أن يوفقنا جميعًا للدعوة إليه سبحانه.

قال: فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي : «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك». وفي لفظ ذكره بعض الشراح أنه أقسم قال: «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»؛ فأنزل الله على {مَاكَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِللهُ شَوِينَ وَلَـوْ كَانُوا أُوْلِي قُـرْبَى مِـنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ هُمُ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الله عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى

(الشرح)

هذا الباب -أخواتي بارك الله فيكم- باب عظيم من أبواب كتاب التوحيد، وفي هذا الباب أو قبل أن أبدأ. أقول: أن مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد مناسبة واضحة جدًا، وهي تدور حول الهداية، فأعز مطلب يطلبه الإنسان في هذه الدنيا هو الهداية، بل أعظم ما تتعلق به النفوس، وأعظم ما يتعلق به المتعلقون بغير الله على عندما يتعلقون بالأصنام والأوثان، يطلبون منها أن يحصل لهم نفع؛ سواء في الدنيا أو الآخرة.

فهم يستشفعون بهم عند الله على وهم يتوجهون إليهم أن يؤدوا أو يكون لهم بعض ما لهم من حقوق عند الله، فلما كان النبي وهو أفضل الخلق على الإطلاق بل هو أفضل سيد ولد آدم، فإذا كان هذا النبي على قد نفا الله على أن يمتلك الهداية.

والهداية على نوعين: النوع الأول: هداية توفيق. والنوع الثاني: هداية إرشاد، أحسنتم بارك الله فيكم. ومن باب الفائدة فإن هداية التوفيق لا تكون إلا لمن بيده التوفيق وهو الله عَلَى رب الأرباب ومجري السحاب.



أما هداية الإرشاد والدلالة فهي عامة لجميع المصلحين؛ سواء كانوا أنبياء أو رسل لله على الله ولا على الله ولا على الله وكل أو كن داعيات إلى الله على الله ولا نزكى أحدًا. جميل بارك الله فيكم.

فالله عَلَى في هذه الترجمة، لماذا ترجم الإمام محمد هذا، وهذا من عظيم تعلقه بكتاب الله عَلَى فالله عَلَى عن النبي الله الهداية والمقصود بالهداية هنا هداية الإرشاد للدلالة، والإرشاد والدلالة هي نوع واحد، والتوفيق هي النوع الآخر.

والله على عن النبي هداية التوفيق، وقال له: يا محمد إنك لا تملك هداية التوفيق فلن تستطيع أن توفق من تحب لإدخاله جنة الله وهي هذه الهداية هي نوع من أنواع المنافع. إذًا ومن باب الفائدة فإن هذا الحديث الذي سيأتي معنا تحمله المسيب بن حزن —رحمة الله— في الكفر، ويجوز للإنسان أن يتحمل الكفر كما يجوز له أن يتحمله في الصغر، لكن أبداه في الإسلام. فنسأل الله على أن يكون ابنك من الدعاة إلى الله على يتحمل عنا هذا الكتاب ويؤديه عندما يكبر.

فدل هذا الكلام الذي ذكرته آنفًا أنه عليه الصلاة والسلام - ليس له من الأمر شيئًا، كما جاء في ما سبق في باب قول الله - تبارك وتعالى -: {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ } [الأعراف: ١٩١]. ونعم سبحان الله لولا أي عرفت أن الأخت تجلسه معنا، لما ذكرت لكم هذه الفائدة الحديثية التي ذكرها أهل العلم في المصطلح، وهي متى يتحمل الطالب عن الشيخ. بالسن والإيمان، ونسأل الله وَ لَيْلُ أن يوفق من شاء لما شاء.

وسبحان الله الله على وفقني لأن أروي هذا الكتاب عن جمع من أهل العلم فأرويه بإسناد للمصنف ولعلكم يسر الله على وسمعتموه عني أن ترووه عني بالإسناد، لمن حضرت كان الكتاب، ولمن فاتما شيء منه أن ترويه بالسماع ببعضه وبالإجازة العامة عندما أختمه إن شاء الله.

حتى لا يذهب الوقت -بارك الله فيكم- أقول: فالنبي على من هذا، وهذا دليل على أنه ليس له من الأمر شيء في التوفيق، فالأمر كله لله على أنه ليس لله على أنه ليس لله على أنه ليس لك

مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ } [آل عمران: ١٢٨]. فإذا كان النبي على ليس من الأمر شيء، ولا يستطيع أن ينفع قرابته بل أقرب الناس إليه، وهو عمه الذي كان يدافع عنه في قريش، فإذا كان ذلك واضحًا أمامنا، فثمة أمر مهم وهو أنه من دون النبي على لا يملك هذا من باب أو آخر.

لذلك قال النبي على لفاطمة -رضي الله عنها- كما في الحديث الثابت، قال: «يا فاطمة بنت محمد؛ سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا». وهذا مهم جدًا، لابد لنا من أن نضبطه.

قال: وقول الله وَعَبَلْ: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ قَالَ: وقول الله وَعَبَلْ: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص: ٥٦]. وفي بعض النسخ التي قرأتها آنفًا وهي النسخة التي أقرأ منها هي نسخة كتاب التمهيد التي طبعتها البخاري في الدوحة. وهي نسخة مضبوطة حقيقة في المتن، لكن فيها بعض الأشياء قد تكون سقطًا.

قال: وقول الله عَلَى : {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ } هذه الآية، واضحة جدًا، وقد ذكرها في الترجمة -رحمه الله ورضي عنه - فقال له: يا محمد والخطاب من الله عَلَى يقول له: إنك لن تهدي ولن توفق من أحببت من المخلوقين وأن كان عمك أبو طالب، لا تقدي تنفي. { وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} يهدي من يريد هدايته.

ومشيئة الله على نوعين. مشيئة قدرية ومشيئة شرعية، هذه مسألة يدرسونها في كتاب العقيدة، وكتاب العقيدة ليس هنا مكانها، لكن أقول هذا قضية يتكلم عنها أهل العقائد لما يتكلم عن الإرادة الشرعية والإرادة الكونية.

فقالوا: الشرعية التي يحبها الله وقد لا تقع. والكونية هي التي قد يحبها الله وقد لا يحبها لكنها لابد وأن تقع.

ولكن الله يهدي من يشاء، فنحن كدعاة علينا أن نبين وعلينا أن ندعو، وأما التوفيق والهداية فهو بيد الله على وهذا ظاهر في أن النبي كان يحب عمه.

كيف كان عمه يحب النبي الله وقيل في تفسيرها أنه: كان يحبه الحب الجبلي، الحب الطبيعي كمن يحب أباه الكافر وما شابه ذلك، وقيل: أن محبة النبي كانت قبل النهي من محبة المشركين، لكن الذي يظهر هذا النوع من أنواع المحبة التي هي محبة جبلية.

وقال الله عَلَى الله عَلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } يعني: بمن يستحق الهداية، فيهديه، كيف نوفق بين هذه الآية وبين قول الله تعالى: { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الشورى: ٥٢]. لا أريد الإجابة الآن؟ هي واجبة. والأخت المشرفة تضعه سؤالًا. وفقكم الله عَلَى توفقكم في الإجابة.

ثم قال المصنف -عليه رحمة الله-: وفي الصحيح ماذا يقصد بالصحيح؟ وهل هذه الكلمة مضطربة عن الإمام محمد، وسنرى إجابات الأخوات: تقول الأخت: صحيح البخاري.

طيب، بداية: ماذا يقصد هنا وفي الصحيح؟ هنا يقصد: البخاري ومسلم. وهل الإمام محمد منضبط في هذه القضية في هذا الكتاب، إذا قال في الصحيح وهو كتاب واحد البخاري، نقول: قول غير منضبط للشيخ —عليه رحمة الله— وهذه من المآخذ التي تؤخذ على التأليف، وهي مسألة فرعية، ليست مسألة أصلية، فلا تظن.

لذلك لابد أن يكون الإنسان في التأليف مستقيمًا على جادة معينة، وإذا قال: في الصحيحين خلاص واضح، في الصحيح مثلًا في البخاري، وإذا أراد أن يفرد مسلم أن يقول مثلًا: وفي مسلم.

قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، وهذه المقدمات لا يُخبر عنه بأنها علامات وفاة الا أن عقبها وفاة وهذه فائدة، فإذا لم يعقبها وفاة فلا يُخبر عنها بأنها علامات وفاة، وهذه المسألة الفقهية تُذكر عند قول الفقهاء في تصرفات من المريض بمرض الموت. وهناك تُبحث في كتب المطولة.



قال له النبي كلمة وهي: كلمة التوحيد ومن باب الفائدة، فإن كلمة كلمة يراد بها الكلمة الواحدة أو الجملة أو كلمة التوحيد وما شابه ذلك، قال محمد بن مالك: وكلمة بما كلام قد يعم.

كالامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف الكلم

واحده كلمة والقول عم وكلمة بحاكلام قد يؤم

قال: وفيه دليل على أن الأعمال بالخواتيم، من أين أخذنا هذا الكلام؟ كيف عرفنا ذلك أخواتي بارك الله فيكم؟ من قول النبي ﷺ: «كلمة أحاج لك بحا عند الله». لأنه لو قال هذه الكلمة فهذا يعني أنه سيصبح عند النبي ﷺ شيئًا يدافع به عن هذا الرجل الذي كان سببًا في الدفع عن النبي ﷺ.

ثم قال هذا الرجل الذي لم يُوفق للهداية، قال: هو: هو على ملة عبد المطلب. ودين عبد المطلب هو عبادة الأصنام، والراوي للحديث على قمة من الحذر، فلم يقل: أنا على ملة، ولكن قال: هو، ضمير الغيبة وضمير المتكلم كراهية النطق لهذه الكلمة؛ حتى لا يكون من أهلها وأن كانت القاعدة، وهذا من التورع، وأن كانت القاعدة عند أهل السنة، أنما هذا الكفر -ما باله يا أم محمد وأظنها ضيفة - ناقل الكفر ليس بكافر.

فقال له: فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ يستنكرون عليه بهذا الاستفهام؛ لأنه عرفا أنه إذا قال: كلمة التوحيد أصبح موحدًا، وترك ملة عبد المطلب، واتبع ملة إبراهيم حنيقًا.

وقد اتفق أهل العلم-لا أقول أجمع؛ لأن هناك من ذكر خلاف هذا الكلام، ولكن قوله مردود عليه- اتفق أهل العلم أن أبا جهل مات على ملة عبد المطلب، أما عبد الله بن أبي أمية والمسيب وهو راوي الحديث فأسلما، فأسلم من هؤلاء القوم الذين كانوا في المجلس اثنان، ومات اثنان على الكفر، وأسلم عبد الله بن أبي أمية، والمسيب بن حزن الذي هو والد سعيد، ومات عمه أبو طالب وأبو جهل على الكفر والعياذ بالله. وهذه حكمة عظيمة من حكم الرب جل جلاله.



فإن هداية أبي طالب كانت مطلبًا عظيمًا عند النبي في وأراده وحاول وحاول حتى توفى الله في عمه، فلو كان النبي في وهو كما قدمت آنفًا من مقدمة عظيمة، في بداية هذا الباب وهو من هو وهو أفضل الخلق عند الله فلو كان يملك هداية القلوب، لو كان يملك مغفرة الذنوب لو كان يملك تفريج الكروب، لو كان يملك هذه الأشياء لحمى عمه وأواه، وسبحان الله في عمه ومن حفظه في بداية التوحيد يموت على الكفر ويكون مستقره نار الله في.

وقد ذكرت لكم أن النبي الله الله في عمه بالتخفيف عنه من العذاب، فهو كما قيل في بعض الأثر، وقيل: يوضع تحت أخمص قدميه جوابان وعلى كلٍ فهذا عذاب لن ينتهى ولن ينقطع عنه نسأل الله السلامة.

فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك». وقد ذكر العلماء هذه الآية التي قد ذكر تقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك». وقد ذكر العلماء هذه الآية التي قد ذكرتما آنفًا، هو سبب نزولها، {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء} .

ما أدري لعلي هكذا قد أتيت على أشياء جميلة، في هذا الباب، وما لا يُدرك كله لا يترك جله، هل هناك سؤالًا عند الأخوات؟ تفضلي. لو عندك إقرار اكتبي: لا، إقرار. انتبهي. كما لو قالت لك أختي: هل تأكلين مثلًا كذا؟ فقلت: لا جزاك الله خيرًا. لا وجزاك الله خيرًا.

الباب الذي يليه، حتى لا يذهب الوقت بلا فوائد، وأن كانت مهمة بالنسبة إليّ. (المتن)

قال المؤلف -رحمه الله-: باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين.

وقول الله عز وجل: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَعْلُواْ فِي دِينِكُمْ } (١).

^(۱) المائدة : ۷۷ .



وفي الصحيح يقصد به البخاري، عن ابن عباس -رضي الله عنهما -في قول الله تعالى: {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آهِٰتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} قال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم، عبدت).

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وقال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو». وهذا الحديث في النسائي وهو صحيح كما صححه شيخنا الألباني -عليه رحمة الله-.

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله في قال: «هلك المتنطعون». قالها ثلاثًا. وهذا عند مسلم -رحمه الله- وهذا الكلام على صحة هذه الأحاديث. (الشرح)

الآن يا أخواتي: الشيخ -رحمه الله- بين فيما سبق هذا الباب من أبواب؛ وهي ثمانية عشر بابًا، بين أصولًا عظيمة، وأقام أدلة عظيمة على التوحيد، وبين ما يتعلق به المشركون، وأبطل أصول اعتقادهم بالظهير والشفيع مع الله على الذي يشفع عند الله على.

بعد أن بين هذه الأشياء قد يسأل سائل ويقول: فما سبب وقوع الشرك إذًا؟ أو كيف وقعت الأمة في الشرك؟ الشيخ -عليه رحمة الله- أورد هذا الباب ليبين الإجابة، على هذه الأسئلة، وكذلك أردفه بأبواب مبينة، وقد يسأل سائل ويقول: فما سبب وقوع الشرك إذًا؟ أو كيف وقعت الأمة في الشرك؟

والشيخ أورد هذا الباب ليبين الإجابة، على هذه الأسئلة وكذلك أردفه بأبواب تزيد من الإجابة أو توضح الإجابة على هذه الأسئلة، فمن أهم أسباب وقوع الناس في الكفر أو الشرك، هو الغلو في الصالحين وأن كان في نظري الناظر. أن الغلو في الصالحين ليس هو بحد ذاته شركًا، ونقول: أنه سبب بل هو السبب الأعظم في الشرك.

فالإنسان إذا غلا في نبي والصالحين كلمة يراد بما كل من كان صالحًا مصلحًا كنبي أو رسول أو ولي من أولياء الله على أو داعية إلى الله على أو داعٍ إلى الله على كل أولئك وكل من ينطبق عليه أنه صالح ومصلح فهذا قد يغلو فيه الناس، لأنه يدعوهم إلى الله على ويبين لهم الطريق الصحيح، فالناس من محبتهم لأولئك القوم، قد يتعلق بهم، والتعلق ابتداءً قد لا يكون فيه شيئًا.

فالسبب قال: باب ما جاء أن سبب، فيما يتوصل به إلى غيره، ومن قول الله على في سورة الحج: {مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنصُرَهُ الله في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ مُ لَيُقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ } [الحج: ١٥]. بمدد يعني حبل، والسماء سقف الغرفة، ثم يشنق نفسه وليقطع، فلينظر هل يذهبن كيد ما يغيظ؟!

إذًا الحبل هو الذي يتوصل به إلى الشيء ومنه سُمي الحبل حبلًا، أو سببًا، لأنه يتوصل به إلى نشل الماء من البئر، وسقى الماعز.

والآن قال: باب ما جاء في أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين. والغلو هو كما قلت الإفراد أو هو المجاوزة مجاوزة ماذا؟ مجاوزة الحدكما قالت الأخت عبير، مجاوزة الحد في ماذا؟ الحد هو المكان الذي لا ينبغي الإنسان أن يتعداه،



حد الشيء منتهاه. ومجاوزة الحد أما في المدح وهو الثناء أو الإطراء كما قال. أو القدح كما قالت أم محمد ناصر.

فإذا أنت تعديت حدك في الثناء على أحد أو في القدح على أحد، فهذا غلو، والغلو له طرفان نقيضان، أما أن يكون غلو في المدح أو في القدح، والقدح يُسمى ثناء، لكن ثناء في ماذا؟ ثناء في يُسمى ثناء بذم، لذلك لما مروا على النبي ، بجنازتين، فأثنوا على الأولى خيرًا، وأثنوا على الثانية شرًا، فقال ؛ «وجبت وجبت، ثم قال: «أنتم شفعاء الله في في أرضه».

إذًا الغلو المجاوزة للحد في الثناء على المدح أو في الذم القدح أو أنا كتبتها على العام، وأردت أن أبعثها على العام، لكن خلاص اكتفي بكتابة الأخوات وتعليقي الصوتي.

قال: الغلو بالصالحين، يعني: الغلو في الصالحين الذي هو سبب كفر بني آدم، وتركهم دينهم، فإنهم قد جازوا الحد الواجب في محبتهم وتعظيمهم، حتى آن الأمر فيما بعد إلى الشرك والعياذ بالله. وقد يسألك سائل، والصالح من هو؟ تقولين له؟ الأنبياء والرسل وعلى رأسهم محمد ، والأولياء والدعاة من أي أمة، كلام طيب.

وقبل قليل قلنا: أن هناك حدًا أذن الله على به في حق أولئك الصالحين، فما هو الحد نقول: إذا كانوا من الرسل، فحد التعلق بمم يكون للأخذ بشرائعهم وإتباعهم وليس عبادتهم غفر الله لك يا أخت عبير. وعبادتهم هذه كفر. وأيضًا نقول: المحبة والاحترام لهم، وأخيرًا النصرة والموالاة لهم.

فهذه المعاني هي معاني محبة الصالحين الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وهذا كله داخل في الحد الذي أذن به الشرع، أما الغلو فهو مجاورة ذلك الحد، ولو سألتي وقلت لي: ما هو حد هذا الغلو؟ أقول لك: أن الغلو بحر لا ساحل له، فبعضهم غلا كثيرًا فجعل النبي الخير أو نبيًا آخر، في مقام الإلوهية وبعضهم وبعضهم وحدثي في هذا الباب ولا حرج.

ويقابل ذلك أيضًا الجفاء للرسل أيضًا عدم الموالاة لهم، ومنها بخسهم حقهم، ومنها ترك محبتهم والحاصل -أخواتي بارك الله فيكم- أن كل تقصير في حق الرسل هو يُعد من الجفاء، وكل زيادة على ما ذكرته آنفًا هي نوع الغلو والعياذ بالله.

وقول الله عز وجل: {يًا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ}. أهل الكتاب إذا أُطلقت فيرُاد بها أصحاب الكتب السماوية السابقة؛ سواء حُرفت أو لم تُحرف، وهم اليهود والنصارى، وكل من كان من أهل كتاب قبل ذلك فقد دخل التحريف على كتابه، قال الله على: { لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ} يأمر أو يبلغ الله على منهم ألا يتجاوز الحد في ماذا؟ يعني: لا تتجاوزوا الحد في القول والاعتقاد عندكم.

فإن أهل الكتاب من النصارى واليهود قد غلو في دينهم ومن أنواع الغلو غلوهم في عيسى الله. فإن النصارى غلوا فيه مدحًا وأن اليهود غلوا فيه قدحًا، فإن النصارى قد غلوا فيه مدحًا وقالوا: أنه ابن الله، وقال بعضهم: أنه ثالث ثلاثة. واليهود غلوا فيه قدحًا وقالوا: أنه -والعياذ بالله- أنه ابن زانية أو ولد زني -ونسأل الله السلامة من هذا القول وعفا الله عنا نقل هذا القول. { قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّ يُؤْفَكُونَ } [المنافقون: ٤].

أولاء وأولئك، فكل منهم قد غلا، بين إفراط وتفريط، فالله عَلَى قال: { وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَ } [النساء: ١٧١]. ولا تصفوا الله عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَ } [النساء: ١٧١]. ولا تصفوا الله عَلَى الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله أو رسله، والمسيح العَلَى هو نبي من أنبياء الله، سُمي بمذا الاسم؛ لأنه كان يمسح على أصحاب الأمراض، وأصحاب العاهات فيبرءون بإذن الله وَعَلَى، وسُمي بذلك مسيحًا.

قال: { إِنَّمَا الْمَسِيخُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ } يعني: خلقها الله عَلَى الله عَلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاَنَةٌ اللَّهُ وَلَا تَقُولُوا ثَلاَنَةٌ اللَّهُ وَاللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي التَّهُوا حَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي التَّهُوا حَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا الله إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَواتِ وَمَا فِي اللَّهُ وَكِيلًا } مريم والدته، يعني: عيسى الطَّيِكِينَ روح من الأرواح التي خلقها الله وَعَلَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } وهذه الإضافة من أنواع التشريف، والإضافة إضافة تشريف



وتكريم. وقد تكلمت لكم في ما مضى من الدروس عن أنواع الإضافات إلى الله وعجلًا. تذكرون معى أم نعيدها والوقت لا يسعفنا في إعادتها.

إِذًا قال الله ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } الإيمان أصله التصديق الذي يعقبه الإقرار والإذعان.

فآمنوا، صدقوا بأن الله واحدًا، لا والد له ولا زوجة ولا ولد، بالله ورسله، وكيف الإيمان بالرسل، وكثيرًا أنهم صادقون مبلغون عن الله وكلن، ولا تكذبوهم فيما أتوا به. والإيمان بالرسل كما ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تصديقهم فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا، واجتناب ما نحوا عنه وزجروا، وأن لا يُعبد الله وكلن إلا بما شرع، قلت: أنا ليس بالأهواء والبدع.

فالنفس إذا انشغلت في تعظيم شيء من الباطل، أو من الحق فإذا انشغلت به شغلها عن الحق سبحانه وتعالى، أخيرًا أو من الأشياء المهمة التي ذكرها أهل العلم: أن المغلو فيه إذا كان موجودًا على قيد الحياة، فإنه قد يزهو بنفسه يعني: يتعاظم، يعجب بنفسه وهذه مفسدة عظيمة، والعياذ بالله. وهي تولد من الإنسان الكبر، وهذه كبيرة من الكبائر أجارنا الله وإياكم جميعًا منها.



ثم قال: وفي الصحيح عن ابن عباس -رضي الله عنهما -في قول الله تعالى: {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آهِتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا شُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}.

وهذا الأثر اختصره المؤلف، فهو أطول من هذا الكلام، ونوح التَّكِينَ هو أول رسول بعثه الله عَلَى بماذا؟ للدعوة إلى التوحيد. لماذا؟ لأن الشرك أول ما وقع، وقع في قوم نوح عشرة التَّكِينَ فإنه كما ثبت عن ابن عباس عن أنه قال: كان من زمن آدم إلى زمن نوح عشرة قرون على التوحيد ثم بدأ الشرك في زمن نوح، في قوم نوح، والمقصود بقوم نوح القوم الذين أُرسل فيهم نوح التَّكِينَ فإن التوحيد كان قبل نوح بقليل. ولم يبدأ مع نوح بل كان قبل.

فكيف دخل الشرك في قوم نوح؟ القرآن ذكر -وهذه قضية مهمة انتبهوا- القرآن ذكر أصلين في حالين من أصول الشرك، الأول: شرك قوم نوح، والأصل الثاني: شرك قوم إبراهيم.

أما شرك قوم نوح، فكان في الغلو في الصالحين، غلوا في محبتهم ثم جاءهم شيطان وقال لهم: أن يصوروا لهم صورًا فصورا صورًا، ثم تعلقت أنفسهم بهذه الصور، بدءوا يعظموها ثم بدأ الأمر ينتقل من التعظيم إلى الشرك مرة فمرة، كما قال ابن القيم المعلم والعكوف عبادة، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

الأصل الثاني: شرك قوم إبراهيم، وذلك شرك في التأخير، يعني من جهة النظر في الكواكب. وأنها تؤثر في الناس، وهذا شرك في الربوبية، ويتبعه شرك في الإلوهية، فهم جعلوا تلك الكواكب أصنامًا وجعلوا لها أسوارًا وعبدوها من دون الله على فلما توجهوا إليها من دون الله على ماذا حصل؟ حصل الشرك ووقع الشرك فيهم؟ فقام إبراهيم عن يتفكر في رب هذه الكواكب والآيات كما في سورة الأنعام: {فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا وَيِّ هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } [الأنعام: ٧٨] الآيات.

قال الله ﷺ ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آهِمَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَلَا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَلَا سُواعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَيَعُوقَ وَيَعُوقَ وَيَعُوقَ وَلا سُواءً وَلا يَخُونُ وَيَعُوقَ وَيَعُوقَ وَيَعُوقَ وَيَعُوقَ وَيَعُوقَ وَيَعُوقَ وَيَعُوقَ وَيَعُوقَ وَيَعُوقَ وَيَعُوقُ وَيَعُولُ وَيَعُولُ وَيُعُولُ وَيَعُولُ وَيُعُولُ وَيُعُولُ وَالْعُولُ وَيُولُولُونُ وَيُولُولُونُ وَيُعُولُ وَيُعُولُ وَالْعُولُ وَيُولُ وَيَعُولُ وَيُعُولُ وَيُعُولُ وَالْعُولُونُ وَيُعُولُ وَيُعُولُ وَلَا سُوادِاتُ وَلَا سُواءً وَلا يَعُولُونُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا سُواءً وَلا يَعُولُونُ وَلَا سُواءً وَلا يَعْمُونُ وَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَا سُواءً وَلا يَعْمُونُ وَلَا سُواءً وَلا يَعْمُونُ واللَّهُ وَلَا سُؤَاءً وَلا يُعْلِقُونُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا لِلللّهُ وَلَا لِللللّهُ وَلَا لِللللّهُ وَلَا لِلللّهُ وَلَا لِللللّهُ وَلَا لِللللّهُ وَلَا لِللللّهُ وَلَا لِللللّهُ وَلَا لِلللّهُ وَلَا لِلللللّهُ وَلَا لِلللللّهُ وَلَا لِللللّهُ وَلَا لِللللّهُ وَلِلْكُولُ لِللللّهُ وَلِلْلّهُ لِللللّهُ وَلِلْمُ لِلللللّهُ وَلِلْلُولُ لِللْ

قيل عن ابن عباس: إن هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت. وفيه كلام ابن القيم —عليها رحمة الله—.

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، هذه المرحلة الأولى، وأول ما ابتدعت القضية، ابتدأت بدعة، وهي هذه البدعة العكوف عند القبور، والبدعة قد تنتهي إلى الشرك —نسأل الله السلامة – والبدعة قد تنتهي إلى شرك، وهذا الذي كان يفعله الجيل الأول، وجاءوا إليهم وصوروا لهم صورًا يعنى أصنامًا.

ثم لم يقع الشرك ابتداءً؛ لأنه ما كانوا يعبدونه، لكنهم ابتدعوا بدعة العبادة والعكوف عندهم، ثم بعد ذلك طال عليهم الأمد، وانتهى هذا الجيل، فجاء جيل آخر رأوا أن آبائهم يعظمونهم فزاد التعظيم ثم زاد حتى وقعت العبادة فعبدوهم. قال: عكفوا ثم، وثم تفيد الترتيب مع التراخى.

قال: وعن عمر أن رسول الله قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» يعني: لا تجاوزا الإطراء ومعناه: هو مجاوزة الحد في المدح، وقال بعضهم: هو مجاوزة الحد في المدح والكذب في هذا، وقال: بضعهم لا تمدح بالباطل، ولا تبالغ في المدح بالباطل ولا تجاوز الحد في هذا المدح، والكلام يصب في قضية وهي أن الإطراء هو المجاوزة في المدح، والمبالغة فيه.

فالنصارى أطروا ابن مريم وزادوه وعظموه حتى جعلوه في مرتبة الربوبية، وهنا ننتبه إلى قضية قال: كما أطرت، والكاف هنا هي كاف قياس يعني: لا تطروني إطراءً كما أطرت النصارى ابن مريم، واضح أخواتي.

فهو تمثيل للحدث بالحدث، لا تمثيل للإطراء بالإطراء، يعني مثلًا لو قلنا: نحن لن نطري النبي محمد وكلما أطرت النصارى عيسى، نحن سنطريه أقل. سنذكره، فالكاف هنا ليست كاف التمثيل الكامل بل هي كاف تمثيل ناقص. كاف قياس، يعني: يكون ما بعدها يكون مماثلًا لما قبلها من كل وجه، لا. نقول: يكون ما بعدها مشتركًا مع ما قبلها في المعنى.

فلو أن إنسان قال لزوجته: أنت كالقمر، وليس المقصود أنها هي القمر ومشعة، المقصود أنها اشتركت مع القمر في المعنى، وهو الإشعاع والجمال وما شابه ذلك، أظن هذه القضية واضحة أليس كذلك أخواتي بارك الله فيكم؟

نعم يجوز مدح النبي ﷺ أحسن الله إليكم يا أخت إيمان. لكن الضابط الذي ذكرتيه وهو عدم الغلو.

قال: قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله». يعني: لا تضعوني فوق منزلتي التي جعلها الله على أنه فهو أراداني عبدًا ورسولًا، وهذان الوصفان كما قال أهل العلم: هما أصدق وصفًا وأشرف وصفًا للرسول ، فأشرف حالًا للإنسان أن يكون عبدًا لله على .

وقال: قال رسول الله على «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو». إياكم أحذركم، والغلو عرفناه، والإهلاك على معنيين، أما مراده: بملاك الدين، فيكون الهلاك واقع مباشرة على الغلو، أو هلاك الأجسام، يعني: سببًا للهلاك، يعني: إذا غلوا خرجوا عن طاعة الله على فأهلكهم الله عن الدنيا وفي الآخرة.

الآن النبي ﷺ في هذا الحديث يحذر أمته من الغلو، ويبرهن ﷺ على أن الغلو سبب في الهلاك، لماذا؟ لأنه مخالف ولأنه كان سببًا في هلاك الأمم السابقة، فنخرج بفائدتين من هذا التحذير:

أولًا: تحذير النبي ﷺ وهذا التحذير هو نهى وزيادة.

والثاني: أنه بين أن هلاك الأمم السابقة ما هو؟ الغلو وما كان سببًا للهلاك كان محرمًا، والغلو له أقسام كثيرة، فقد يكون الغلو العقيدة، وقد يكون الغلو في العبادة، وقد يكون الغلو المعاملات، واضح هذه القضية. هناك غلو في العقيدة.

ونحن على السنة، نحن أهل السنة وسط كما قال: لا إفراط ولا تفريط، وأيضًا هناك من أهل العلم من قال: إن الغلو ينقسم إلى قسمين: غلو عبادة، وغلو وسيلة. ما الفرق بينهما؟ قال: غلو العبادة هذا يُعتبر شبهة أكبرًا، وما هو الضابط له؟ طبعًا انتهيت، الضابط أن يجعل المخلوقين شيئًا من حقوق الله على مثل الدعاء أو الذبح أو ما شابه ذلك كالتصرف في الكون، فيجعله مشابعًا لله على في أي قضية للأسماء والصفات. وهذا غلو عبادة.

والنوع الثاني: غلو وسيلة، وهذا باعتبار الحكم يكون باعتبار الحكم دور بين الشرك الأصغر أو الكبائر، ما هو ضابطه? ضابطه أن ترفع المخلوق فوق منزلته التي جعلها الله على له لكن دون الأول. وهو غلو العبادة، مثل ماذا؟ مثل الصلاة عند القبور، هذا غلو ويُعتبر من الشرك الأصغر، أو مثلًا الذبح عند القبور، الذبح لله على طبعًا. إذا كان الذبح للقبر هذا ليس غلو وسيلة، لكن هذا غلو عبادة. ذبح لله على عند القبر هذا غلو وسيلة. ومثل ذلك وعلى ذلك فقس.

ثم قال في الحديث الأخير: ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون». قالها ثلاثًا.

يعني: خابوا وخسروا والمتنطع هو المتقعر المتشدق؛ سواء كان في تقعره أو تشدقه في الكلام أو في الأفعال فهو هالك، حتى ولو كان ذلك في الأقوال المعتادة التي ليست عبادة.



قال الشيخ تقي الدين -عليه رحمة الله-: فهذا جاهل ضال. ماذا قال النبي؟ قالها ثلاثاً. وهذا دليل على تأكيد هذه القضية وعلى المبالغة في التعليم والإبلاغ، واضح أخواتي بارك الله فيكم.

فالغلو والتنطع والإطراء كلمات متقاربة يجمعها مجاوزة الحد المشروع، واضح يجمعها مجاوزة الحد المشروع.

الشيخ — رحمه الله و هذا الباب بين أن سبب الكفر بني آدم وأن سبب تركهم دينهم هو الغلو في الصالحين، بأن جاوزوا الحد فيهم أسأل الله في أن يجعلني وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. وهذا والله — تبارك وتعالى — أعلى وأعلم ونسمة العلم إليه أسلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه والتابعين.

وسامحونا على الإطالة ولعلنا نلتقي يوم الخميس إن شاء الله على في الوقت الذي حددته لكم الأخت.

المدح ما له؟ المدح المذموم يعني القدح فإذا قدح الإنسان نمدح شخصًا مذمومًا، هذا، اقصد المدح المذموم. المدح جائز عمومًا لضوابط، هذا الذي أقوله لك، والمدح الأصل فيه أنه جائز، لكن له ضوابط، منها أن لا يُمدح الإنسان في وجهه مثلًا، أو أن يكون هذا المدح يؤدي إلى بذلك الممدوح إلى شيء منهي عنه، فمثلًا إذا مدح إنسانًا أمام وجهه، فهذا من قسم الظهر، يعني قسم ظهره.

لكن إذا سُئلت عن إنسانٍ أو داعية وكنت تعرفين أنه من أهل الحق، وأنه على خير، فيجوز لك أن تمتدحينه، أليس كذلك؟ وكذلك الذم له مواضع، لا يُذم الإنسان دائمًا، حتى وأن كان فيه مثلًا إنسان مذموم معروف، فأنت تريدي أن تبيني هذا الذم. لا بأس.

يجوز أن نذكر الإنسان ونذمه، قلت لك: بضوابط. يعني: إذا سُئلت عنه ستذكري ذلك. لكن الأصل ألا تُذكر معايب الإنسان إلا إذا أحتيج إليها. فهي معايب بينه وبين الله، وذكرت هذا عندما تكلمت.



لكن نسأل الله على أن يتقبل منكم بارك الله فيكم وفي الجميع. ونسأل الله أن يجعله في ميزان حسناتنا جميعًا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ونستغفرك ونتوب إليك. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

